المعنى الظاهر والباطن
في كتابات بعض الرحالة الأوربيين
في القرن الرابع عشر الميلادي
لإعادة الاستيلاء على الأرض المقدسة (*)

المعنى الظاهر والباطن
في كتابات بعض الرحالة الأوربيين
في القرن الرابع عشر الميلادي
لإعادة الاستيلاء على الأرض المقدسة (*)

الرحلة موجودة منذ أن نزل آدم أبو البشر على الأرض ، وما من عصر من العصور إلا وقد استحوذ على قدر معلوم من الرحلات المهمة التي يسجلها الإنسان إثباتا لنشاطه في الأرض ، وقد اهتمت الكتب السماوية بالرحلة والرحالة ، ولقد سجل القرآن الكريم العديد من الرحلات الدينية (١) والاقتصادية (٢). وترجع أهمية الرحلة إلى أن أصحابها عندما قاموا بها سجلوا كل صغيرة وكبيرة وعتها أعينهم ، واستوعبتها عقولهم ، فالغريب عندما ينزل إلى مكان ما ، ترصد عيناه ما قد يراه صاحب المكان أنه أمر عادى ، ومألوف ، لذلك جاءت الرحلات وفى جعبتها كماً هائلاً من المعلومات ، والأخبار التي أصم المؤرخون عنها آذانهم ورفضت أقلامهم تسجيلها .

ولقد استحوذت فترة العصور الوسطى على رحلات عديدة قام بها رحالة الغرب الأوروبي الذين أثروا كتاباتهم بأخبار جديدة تتعلق بنجاح المسلمين في استرداد بيت المقدس سنة ١١٨٧م (٣) وسقوط الممالك الصليبية ، ثم استئصال شافة الصليبيين من الشرق نهائياً سنة ١٢٩١م (٤) وكان من الطبيعي أن يكون لهذه الأحداث ، التي عصفت بالصليبيين في الشرق رد فعل عنيف من قبل المتعصبين الصليبيين ، الذين طالما عملوا

(*)بقلم د. / حسين النحال : مدرس تاريخ العصور الوسطى ، كلية تربية دمياط ، جامعة المنصورة.

على استثارة القيادات الدينية ، والسياسية في الغرب الأوروبي من أجل الخروج بحملات انتقامية ضد المسلمين في الشرق،وكان أول رد فعل لذلك تمثل في المرسوم الذي أصدره البابا نيقولا الرابع (١٢٨٨م : ١٢٩٢م)(٥). لتحريم التجارة مع المسلمين.

واشتملت قائمة الحظر على السلع الاستراتيجية التي تدعم الجيش المملوكي مثل الدروع ، والخيول والحديد ، والأخشاب ، والحبال ، والمسامير ، والقطران ، والمواد الغذائية المهمة (٦) ، ولم يكن هذا فحسب ، بل إنه أرسل مبعوثيه إلى ملوك الدول الأوروبية ، يطلب منهم استجاشة جيوشهم للخروج في حملات صليبية ضد المسلمين في شرق البحر المتوسط،وسرعان ما قام بإرسال سفنه الحربية إلى جزيرة قبرص (٧) ، للإشراف على تنفيذ الحظر ، وتشجيع ملوك أوروبا للاقتداء به في هذا العمل (٨) ولما كانت الظروف لا تسمح للدول الأوروبية – آنذاك – للاشتراك في أية حملات خارجية ، فإن أهدافه باءت بالفشل .

على أن هذه النتيجة التي وصلت إليها لم تفت في عضد الباباوات الذين جاءوا من بعده ، فهذا هو البابا بونيفيس الثامن Boniface VIII (١٢٩٤: ١٣٠٣م) يحاول مرة أخرى من أجل الغرض نفسه ، غير أن نداءاته ذهبت أدراج الرياح ، ولم تحقق شيئاً (٩) ، وعندما ارتقى البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ : ١٣١٤م) عرش البابوية أراد أن يقوم بنشاط مخالف لمن سبقوه من أسلافه ، فرأى أنه من الحكمة تأجيل النشاط العسكري ، واستبداله بالتبشير بالكثلكة ، فعقد المؤتمر البابوى فى فينا سنة ١٣١٦م ، ودعا إليه جميع الكرادلة ، وأصحاب السلك الكهنوتي فى الكنيسة الغربية،وكان من بين الحاضرين جماعة من الإخوان الدومنيكان والفرنسيسكان (١٠) وصدرت توصيات المؤتمر،وكان من بينها توصية تدعوا إلى ضرورة إرسال مجموعة من الإخوان الدومنيكان ومجموعة من

الإخوان الفرنسيسكان للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية فى بلاد الشرق عموماً اعتماداً على أن الكلمة أمضى من السحر (١١) .

وتنفيذاً لذلك قام المتطوعون بتقسيم دول الشرق إلى مناطق ، وأرسلوا مجموعات من المبشرين إلى أسيا الصغرى وبلاد اليونان وأرمينيا الصغرى Clician ، و بلاد التتر ، ومجموعات أخرى إلى بلاد شمال أفريقيا ، و الحبشة ، فضلا عن المجموعات التي نزلت بلاد الشام والهند ، وكان من بين هؤلاء المبشرين وليام أدام (١٢) وبروكلرد الألمانى (١٣) وبروكارد من جبل صهيون (١٤) وتوماس من تولنتينو Tolentin (١٥) وأندرو من بروجيا Prugia (١٦) ومارينو سانودو الاكبر (١٧) وريموند لول (١٨) ولودولف من سودهيم Suchems (١٩) وبيلوتى الكريتى (٢٠) ، وأرنولد من هارف (٢١) .

وبدأ المبشرون رحلاتهم، فزاروا الجهات التى كلفوا بها من قبل الباباوات ، وحققوا نجاحات مذهلة حتى وصلوا إلى بلاد التتار ، وعبروا المحيط الهندى حيث توجد بلاد الأحباش ، وتوغل البعض منهم فى بلاد فارس ، والبعض الآخر وصل إلى الصين ، وبلاد الشرق الأقصى .

ومن خلال رحلاتهم كتبوا كتبهم ووصفوا البلاد التى زاروها وصفا اتصف بالدقة إلى حد ما ، واعتمدوا على السرية والرمز فى كتاباتهم ، وهذا يتضح جليا من الكتب التى أرسلوها بدء من عنوان الكتاب ومروراً بموضوعه والطرق التى ساروا فيها ، والأماكن التى زاروها وانتهاء بالطريقة التى أرسلوا بها تلك الكتب إلى البلاط البابوى ، أو التوصيات التى ذيلوا بها تقاريرهم . باستعراض العناوين التي عنونوا بها مؤلفاتهم نجد أنها أحيانا تأخذ صفة السرية مثل كتاب الرحالة مارينو سانودو الأكبر

MARINO SANOTO SECRETS FOR TRUE CRUSADErS TO HELP THEM TO RECOVER THE HOLY LAND

أي أسرار الصليبيين المخلصين لمساعدتهم في استرداد الأراضي المقدسة ، وأحيانا كتب أخرى تحتوي على تقارير سرية مثل كتاب بروكارد الألماني بعنوان :

L ADVICE DIRECTIF POUR FAIR LE PASSAGE D OUTRE MER

" النصيحة المباشرة من أجل العبور إلى ما وراء البحار (٢٢) وكتاب وليم آدم الذي كان عنوانه : DE MODO SARRACENOS EXTIRPANDY "((كيفية إبادة المسلمين)) (٢٣) . وكذلك الكتاب الذي أعده الراهب الرحالة بروكارد من جبل صهيون تحت عنوان : A DESCRIPTION OF THE HOLY LAND : ((وصف الأراضي المقدسة (٢٤) . وكتاب لودولف من سودهيم

A DESCRIPTION OF THE HOLY LAND ((وصف الأراضي المقدسة)) (٢٥) . وكتاب أرنولد من هارف الذي جاء تحت عنوان :

THE PILGRIMAGE OF ARNOLD VON HARFF ((حج أرنولد من هارف (٢٦) .

وأخيراً كتاب بيلوتي الكريتي تحت عنوان : DE MODO PROGRESS ORDINE DE AEDILLIGENTI PRAVIDENTIS HABENDISIN PASSAGIO PRO CONQUEST TERRE SACTE.((خلاصة المعرفة من أجل عبور المسيحيين لاسترداد الأراضي المقدسة)) (٢٧) .

فالكتب السابقة جميعها كانت تحتوي على تقارير في ظاهرها الرحمة ، وفي باطنها سُمّ زعاف . فالقارئ العادي يمر عليها مر الكرام ، فيرى أن المادة العلمية تدور حول وصف الشرق ، وخيراته ، ومدنه ، وطرقه ، ودروبه . أم القارئ المتخصص إذا ما تفحص ما بين السطور ، ووقف عند كل معنى وحلله التحليل المبني على رد النتائج ومسبباتها ، يجد مكامن الخطر ، والدعوة المبنية على الإثارة والحماسة ، وإشعال نار الفتنة ، والغيرة والحمية في نفوس مواطنيهم في الغرب الأوروبي من أجل الاستعداد للخروج في يوم الانتقام . والجدير بالذكر أن تلك الرحلات الوصفية تناولت بالدراسة المتعمقة الجوانب السياسية والعسكرية ، والاقتصادية ، والدينية والاجتماعية ، حتى التاريخية ، والجغرافية .

فبالنسبة للجانب السياسي والعسكري كان اهتمام الرحالة الصليبيين منصبا على تقديم وصفا دقيقا لنظام الحكم ، وتعداد الجيوش ، والمدن ذات الموقع الاستراتيجي ، والمدن الساحلية ، وكيفية اختراقها ، حتى أنهم تناولوا العناصر الداخلية التي كانت مبعثا للقلاقل والثورات ، والتي يمكن للصليبيين الاعتماد عليها عند هجومهم ، ولقد تطرقت أبحاثهم إلى الظواهر الطبيعية والكوارث التي تحل بتلك الدول والتي يمكن أن تمثل لهم الوقت المناسب لمهاجمتها . على أنه لم يكن هذا فحسب ، بل إنهم ذكروا القوى الخارجية التي يمكن للصليبيين أن يجندوهم أو يطلبوا العون منهم وقتذاك .

ففي التقرير الذي كتبه أرنولد من هارف عن مصر تناول نظام الحكم ، وذكر أن السلطان يهيمن على الدولة ويحكمها من القلعة في وسط مدينة القاهرة (٢٨) . أما الرحالة بيلوتي الكريتي فقد قال : وإلى جانب السلطان يوجد الخليفة الذي يمثل الأب الروحي للمسلمين ، وهو مثل بابا روما عندنا (٢٩) . كذلك قدم لنا هذا الرحالة الأخير إحصائية دقيقة عن

الجيش المملوكي وقال : يتكون الجيش المصري من خمس عشرة ألف من الهجانة ، وثمانية آلاف من المشاة ، فضلا عن ألفين من الفرسان (٣٠).

أما فيما يخص الجيش فهذا شيء يثير القلق والدهشة والسؤال الذي يجب أن يُطرح في مثل هذا الموقف هو كيف وصل هذا الرحالة الأجنبي الذي كان يمر بالبلاد كعابر سبيل إلى هذا الأمر ؟ إن الإحصائية دقيقة جدا . فعند مقارنتها بما كتبه أبن شاهين في كتابه زبدة كشف الممالك ، أو ما كتبه المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار، كانت مطابقة لما ذكره هذا الأجنبي (٣١) . وعن المدن المهمة ، فإن معظم الرحلات – وإن لم يكن جميعها – تناولت مدينة الإسكندرية ، وأهميتها الاقتصادية ، والسياسية بالنسبة للسلطان المصري ، وأوصوا بأن تكون الهدف الأول لهجوم الصليبيين (٣٢) . وعن مدينة القاهرة قالوا : ((هي مركز لزعامة العالم الإسلامي ، وأن احتلالها سيساعد الصليبيون على إجبار أهلها على اعتناق الكثلكة ، وفي حالة نجاحهم ، فإن الشرق كله سوف يحذو حذوهم)) (٣٣)

وعندما نستدير قليلا إلى المدن المهمة ، ونتجاذب أطراف الحديث مع بعض الرحالة ، مثل لودولف من سودهيم ، نجد أن هذا الراهب الدومنيكاني قد أولى المدن الساحلية برعايته ونظر إليها نظرة فاحصة ، فركز اهتمامه على مدينة الإسكندرية وقال : ((إنها أهم مدن السلطان المصري على وجه الإطلاق ، ويسكنها التجار من جميع الأجناس ، وتتجمع بها السلع من مشرق العالم ومغربه ، وتوجد بها مجموعة من كنائس القديسين ، وعلى مقربة منها توجد قرية يسكنها المسلمون ، الذين يحترفون صناعة النسيج ، وبها منسوجات غية في الروعة ، والدقة وعلى مختلف الأذواق (٣٤) . هذا ولقد ركز الرجل على قوة استحكامات المدينة ، مستخدما الرمز للتدليل على إمكانية احتلالها عسكريا فقال : ((إن الإسكندرية محاطة بالأسوار العالية ، وتوجد بها حامية عسكرية صغيرة تقيم

داخل قلعة والمدينة تبدو لناظـــريها أنها حصينة ، لكن الواقـــــع يثبـــت أنه من السهل الاستيلاء عليها)) (٣٥). الرجل يؤمن بمبدأ ((خير الكلام مـا قل ودل)) . فقال في ختام كلامه ((لخطورة الموضوع لـــن أتحـــدث فـــي كثيرا)) (٣٦) .

أما أرنولد من هارف فيقول عـــن تحصينـــات مدينـــة الإســـكندرية ((إنه من الجدير بالملاحظة ، وحسب تقديري ، فإن مدينة الإسكندرية ليسـت صغيرة مثل مدينة كولوني ..... وبها حوائط، وأبراج متينة ، ويحيط بـــها خندق كالمتبع في تحصينات بلادنا حيث أن الإسكندرية بنيـــت فـــي العـــهد المسيحي (٣٧). وباستقراء ما بين السطور في هذا الوصف لهذه المدينة نجـد أن هذا الرحالة يعتمد على الرمز لإثارة الحماسة عند أبناء جلدته ، فالمدينـــة لها أصول تاريخية ، فالذي بناها هم المسيحيون ، وهي الآن أســـيرة تحـــت الاحتلال الإسلامي !!! ويجب عليكم أيها الناس أن تستردوها .

أردف الرجل قائلا : إن الإسكندرية محاطة بأربعة أبـــراج عاليـــة ، يعين عليها مجموعة من الرجال يوميا ، فعندما يشاهدون السفن الأوروبيـــة قادمة في البحر ، فإنهم يعطون إشارة معينة متفق عليها مسبقا، حيث ترفـــع أعلام بعدد السفن ، وبذلك يتم عمل إحصائية لعدد الأسطول في الحال فيقـوم أمـير المدينـــة برفـــع تقريـــر إلـــى الســـلطان ويرســـله مـــع الحمـــــام الزاجل (٣٨) . وفي الخطة التي رسمها الرحالة ريموند لول عـــام ١٣٠٥م في محاولة استعادة الأراضي المقدسة من المســـلمين قـــدم اقتراحـــه فقـــال ((إن الأسطول الصليبي الذي سوف يبحر من ميناء مدينة إنطاكية يمكنـــه أن يحتل المدن الساحلية في مصر ، خاصة الإسكندرية ، ورشيد ، ودميـــاط ، وبذلك يمكن تثبيت قوى السلطان ، وإضعافها ، فيذعن للمسيحيين ويســـلمهم إمبراطوريته (٣٩) .

هذا وقد استغل الرحالة حالة البلاد السياسية المتردية تحت حكومة السلطان ، فاشتملت تقاريرهم الوصفية العناصر الداخلية التي كانت مبعثا لإثارة القلاقل والفتن ، فتكلموا عن المذابح التي كانت تحدث بين الأمراء والمماليك بعضهم البعض (٤٠) وكذلك ثورات البدو المتعددة (٤١) . وأشاروا إلى أن هذه القلاقل سوف تساعدهم على إتمام احتلال مصر ، وخير دليل على ذلك ، ما أورده هيثوم HEYTHOM في تقريره الذي أرسله سنة ١٣٠٧ م بناء على طلب البابا كلمنت الخامس {١٣٠٥م :١٣١٤ م } عن أسباب قوة السلطان المصري (٤٢) وضعفه ، فقال : من بين أسباب رخاء الإمبراطورية المملوكية :-

أولاً : قوة شخصية السلطان المعاصر ، وقدرته على إخماد القلاقل التي تحدث في عهده ، وكذلك قدرته على نشر السلام في ربوع بلاده .

ثانياً : طول فترة الهدنة بين بلاد السلطان والتتار .

ثالثاً : وفرة المحاصيل في مصر والشام .

رابعاً : ضمان الأمن للتجارة البرية والبحرية .

خامساً : استقرار السلام وانتشاره بين السلطان والقبائل النوبية في جنوب مصر ، وبدو الصحراء الشرقية ، فضلا عن قبائل التركمان في مصر والشام .

وبعد أن انتهى هيثوم HEYTHOM من ذكر أسباب الأمن والرخاء ، بدأ في سرد الأسباب التي تؤدي إلى تهديد قوة السلطان ، وإضعافها ، وأجملها في الأسباب الأربعة الآتية :-

أولاً : الحروب الأهلية التي تنشب بين الأمراء المماليك خاصة في فترة حكم السلاطين الضعفاء .

ثانياً : المجاعات التي تحدث بسبب انخفاض منسوب النيل ، وما ينتج عنها من انصراف الجيوش للبحث عما يسد رمقهم .

ثالثاً : الحرب مع النوبيين في الجنوب أو البدو والتركمان في الشمال.

رابعاً : ظهور القحط في بلاد الشام نتيجة لظروف طبيعية ، أو لقيام التتار بمهاجمة هذا الجزء المهم من الدولة .

((ونتيجة لتلك الدراسة الوافية التي عرضها هذا الرحالة ، فقد رأى أن الأسباب الأخيرة إذا حلت مجتمعة ، أو بعض منها فتكون الفرصة مناسبة للانقضاض على دولة المماليك ، واقترح أن تكون الحملة مجهزة تحت إمرة رجل شجاع يقود ألف فارس ، وثلاثة آلاف من المشاة ، تحملهم عشر سفن إلى جزيرة قبرص ، ومنها إلى أرمينيا الصغرى حيث يتم إرسال سفارة عاجلة إلى التتار لطلب المعونة منهم)) (٤٣) .

أما بالنسبة للجانب الاقتصادي ، فهو المحرك الأساسي لأطماع الشعوب في خيرات غيرهم من الدول الأخرى ، ومن المعروف أن أوروبا كانت تعاني من الكساد الاقتصادي ، الذي حل على دولهم ، نتيجة للحروب التي كانت تعيشها الممالك الأوروبية إبان القرن الرابع عشر الميلادي ، أو نتيجة لانتشار الأوبئة والطواعين .

وكان نجاح المصريين في استئصال شأفة الوجود الأوروبي الصليبي من الشرق سنة ١٢٩١م . سبباً رئيسياً من الأسباب التي دعت أولئك الرحالة أن يركزوا علي كتاباتهم على الشرق وما يحتويه من خيرات تمثلت في

ثماره ، ومحاصيله ، وكنوزه التي ما فتئ الغرب يذكرها ويروي عن أيامها الخالية ، فهو يستمرئ طعمها ، ويسيل لها لعابه عند ذكرها .

ولقد عمد الرحالة إلى الحديث من خلال كتاباتهم العديدة عن الموارد الاقتصادية التي كانت تمتلكها بلدان الشرق الأدنى ،وقتذاك ، فيقول بروكارد من جبل صهيون عن الزراعة : ((إني أُذكر الذين نسوا هذه الأماكن لطول غيابهم عنها)) (٤٤) . ((أن كل الأراضي المقدسة كانت أفضل الأراضي ، وما زالت إلى يومنا هذا ، وعلى عكس كل الذين لم يدققوا النظر فيها ، فأنا أقول أنها أرض خصبة تنتج القمح بأقل مجهود ، كما تنمواُ فيها الحشائش بغزارة ، أما القطن فإنه محصول موسمي شجيراته تبلغ طول ركبة الرَّجُلْ)) (٤٥) . هذا وقد تناول بعض الرحالة نهر النيل ، وأهميته بالنسبة للزراعة في مصر . وموسم الفيضان ، وكذلك موسم انخفاض مستوى المياه في النيل ، وارتباط المواسم الزراعية بذلك ، فيقول هارف HARFF . ((عندما رحلنا في النيل ، رأينا الربوع الخصيبة وفيرة الفاكهة على جانبي النهر ، وبها محاصيل نادرة حيث يتم جنيها مرتان في السنة ، أما النيل فإنه يفيض مع بداية شهر أغسطس ، حيث تبلغ زيادته قدماً كل يوم ، ويستمر ذلك لمدة شهرين حتى يغطي كل الأراضي المصرية . وفي شهر أكتوبر تبدأ مياهه في التناقص ، حيث ينحسر الماء عن الأرض في شهر نوفمبر ، وعندها يبدأ الفلاحون في بذر البذور ، حيث ينمو القمح والشعير ، وكذلك المحاصيل الأخرى ، أما في شهر أبريل ، فإن الفلاحين يقومون برفع المياه من النهر بالسواقي ، والطنابير ، بواسطة الثيران)) (٤٦) .

ويبدو أن للعرض السابق دلالة واضحة لما كان يقوم به هؤلاء الرحالة من الاستفاضة في شرح خيرات بلاد الشرق لاستثارة مطامع إخوانهم في الغرب الأوروبي ، وبالرغم من أن هذا الرحالة قد عرض نهر

النيل على أنه السبب الرئيسي للنماء في مصر ، فقد عمد رحالة آخر إلى التدليل على أن جفاف هذا النهر ، أو انقطاع الأمطار في بلا د الشام ، سبب كاف لانتشار المجاعات، والأوبئة، والطواعين، وينتج عنه ضعف قوى السلطان ، وتصبح مملكته لقمة سائغة كي يلتهمها الكاثوليك في الغرب (٤٧)

أما عن الشق الثاني من مصادر الدخل ، الذي تناوله الرحالة وهو الصناعة في الدولة المملوكية في مصر ،وبلاد الشام فقد ركزوا في تقاريرهم عن صناعة السكر وأهميته الاقتصادية ، وكيفية تصديره إلى بلا الغرب ، ثم عرج بعضهم على صناعة تجفيف الأسماك ، وتمليحها ، خاصة في بحيرة البرلس ، واستخراج الملح وتصديره إلى قبرص ، ورودس ، وبلاد الغرب الأوروبي (٤٨) أما مدينة دمياط فقالوا أنها تشتهر بصناعة تجفيف الأسماك ، وصناعة الشمع ، ودبغ الجلود ، وإنتاج عسل النحل (٤٩) ولقد بلغت الدقة منتهاها ، عندما قام بعض الرحالة بتسجيل حركة المجتمع المصري في الصناعة ، والحرف المختلفة إلى درجة أن أحدهم سجل صناعة إنتاج الدواجن ومعامل التفريخ (٥٠) .

هذا ما كان من أمر الزراعة ، والصناعة ، أما فيما يخص التجارة في مصر وبلاد الشام ، فقد تناولها الرحالة بإسهاب واستفاضة ، حيث شرحوا لأحوال التجارة الداخلية ، فتحدثوا عن الطرق والدروب ، والملاحة النهرية ، والعائدات الناتجة عنها ، وقدموا وصفا تفصيليا للأسواق الداخلية في القاهرة والمدن التي زاروها (٥١) وفي نفس الوقت لم ينسوا الحديث عن التجارة العالمية ، فوصفوا مدينة الإسكندرية ، وتكلموا عن الأحياء التجارية فيها ، وأحوال التجار الأجانب ، وكيفية البيع والشراء ، وإتمام الصفقات ، وتناولوا الفنادق ، وكيفية النزول إليها ، ونظام التمثيل الدبلوماسي فيها ، والأسواق التي تنعقد داخلها ، ومهمة قناصل الدول ، سواء بالنسبة لاستقبال أبناء جلدتهم في الميناء،أو في التصدي لقاضياهم أمام السلطان في حالة

الاستئناف (٥٢) . كما قدموا إحصائيات مهمة عـن الدخل السلطاني ، نتيجة لعائدات الجمارك ، ومتحصلات الضرائب (٥٣) .

أما بالنسبة للجوانب الاجتماعية في كتابات هـؤلاء الرحالـة ، فقـد وجهوا اهتمامهم إلى وصف تركيبة المجتمع الشرقي في البلاد التي زاروهـا ، ولنأخذ ما قاله الرحالة بيلوتي PILOTI الكريتي عن تركيبـة المجتمـع المصري . مثالاً ((أن المصريين الذين يعيشون في طول البلاد وعرضـها لا يمكن حصرهم ، ومنهم الخليفة (٥٤) وهو مثل البابا عندنا فـي رومـا . والخليفة والسلطان وأمراء المماليك يُكونون الطبقة الأولـى ، أمـا صغـار المماليك فيكونون الطبقة الثانية ، وغالبا يتولـون النيابـات فـي القـاهرة ، ودمشق وفي جميع النيابات في البلاد السورية (٥٥) .

أما الطبقـة الثالثة ((فأغلبهم من البدو (٥٦) الذين ينتشـرون فـي جميع الأقاليم ، وهم علـى درجـة فائقـة فـي ركـوب الخيـل والجِمـال .....ومنهم من يعيش في القاهرة ، أو على امتداد وادي النيل ودلتـاه ، أو على ساحل بحرنا)) (٥٧) ويصف بروكـارد مـن جبـل صـهيون ((أن المسيحيين يعيشون بين المسلمين في مجتمع واحد (٥٨) . والغريب في هـذا العرض أن بيلوتي قد وصف سماحة المسلمين مع أصحاب الأديان الأخرى ، فقـال عنـهم ((أنـهم أنـاس سـذج ، ويمكـن التبشـير بينـهم بسهولة)) (٥٩). وبالنسبة للجانب الديني،فقد ركز جميع الرحالـة الأجـانب الذين زاروا بلاد الشرق فتناولوا الأماكن المسيحية المنتشرة في بلاد الشرق، ووصفوا الأماكن المقدسة الموجودة في فلسطين ، وفي مصـر خاصـة مـا ارتبط بالعائلة المقدسة ورحلتها عبر الأراضي المصرية ، وركزوا حديثـهم الوصفي على وقوع هذه الأماكن تحت السيطرة الإسلامية، فيقول بروكـارد من جبل صهيون ((هل هناك مزيد من القول عساي أن أقول ؟ !! شـيء رائع هذا ، ربما نبكي،ويزيد نحيبنا على الفتـور الـذي أصـاب الشـعوب

المسيحية في وقتنا الحالي ، فإنهم سمعوا الكثير ، والكثير من الأمثلة ، وربما رأت أعينهم ، ومع ذلك فإنهم يترددون في العمل على انتزاع الأراضي المقدسة من أيدى الأعداء ((المسلمين)) . تلك الأرض التي باركها يسوع بدمه ، ومدائحه عليها تُغَنَّى يومياً في كنائس العالم أجمع (٦٠).

أظن أننا لسنا في حاجة إلى مزيد من التوضيح خاصة بعد ما استمعنا بالسرد الذي كتبه هذا الراهب ، والمسألة واضحة وضوح الشمس ، فهو يبكي ويئن ، والأرض تطلب من ينقذها ، والمسيحيون في حالة فتور واستكانة !! والآن بقي لنا سؤال نطرحه – ما هو القصد من وراء ذلك ؟ أهناك رمز يمكن استخدامه أكثر مما فعل صاحبنا ؟ إن مجرد ذكره اصطلاح ((THE HOLY PROMISED LAND) لخير دليل على ذلك .

أما مصر ومدنها المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، خاصة في الإسكندرية ، والقاهرة ، وبلاد الصعيد ، فكان لها نصيب وافر في كتابات أولئك الرحالة ، فتحدثوا عن الكنائس التي بناها المسيحيون ، وما دار حولها من أساطير نُسِجَتْ حول القديسة كترين ، التي كانت شهيدة العشق الإلهي ، فهي قد ذُبِحت وقام الملائكة بنقل جثمانها إلى حيث مثواها الأخير في جبل الطور ، ذلك المكان الذي يُعد من أهم المزارات المسيحية ، بعد القبر المقدس في فلسطين (٦١) وفي القاهرة كنيسة العذراء بالمطرية ، وحديقة البلسان المباركة بالقرب من البئر الذي نزلت بجواره العائلة المقدسة والمعجزة التي ظهرت للناس،فأصبح البلسان يشفي من كل داء (٦٢) . وذلك على حد ما رواه الرحالة .

ومهما يكن من أمر ، فلقد استخدم أولئك الرحالة أسلوب إثارة بهدف بث الغيرة والحماسة من أجل العمل على تجريد الحملات الصليبية ضد الشرق ، لانتزاع الأراضي المقدسة من سيطرة المسلمين ففي حديثهم عن

أرض الميعاد يقولون ((إن أرض الميعاد تمتد من سوريا ، فتشمل جميع الأراضي الواقعة عند نهر دجلة حتى نيل مصر ، يحدها من شمال شرق نهر دجلة ، وجنوب شرق الخليج العربي ومن الغرب البحر المتوسط ، ومن شمال غرب إقليم كبدوكيا (٦٣).

هذا وعندما تناولوا مدينة عكا ، تحدثوا عن تاريخها الطويل ، والنهضة المعمارية التي حدثت بها على عهد الوجود الصليبي (١٠٩٨م :١٢٩١م) . وكذلك بالغوا في وصف الخراب الذي حل بها نتيجة استيلاء المسلمين عليها سنة ١٢٩١م . فيقول لودولف من سودهيم ((قبل أن استرسل في كلامي عن هذه المدينة ، أود أن أقول أنني عندما أمعن الفكر في الحالة السيئة التي وصلت إليها تلك المدينة الآن ،فإنني أفضل أن أبكي ولا أقول شيئا !!) (٦٤) وعند وصفه لآخر المعارك التي دارت في هذه المدينة يقول ((إن المسلمين أعملوا فيها الذبح والقتل في جميع السكان المسيحيين الأتقياء ، فمن لم يقتل فقد وقع في الأسر)) (٦٥) . ومبالغة منه في الإثارة ، فقد وصف حالة النسوة المسيحيات اللائى علمن بنبأ الكارثة ((أنهن عزفن عن متاع الحياة الدنيا ، ولبسن السواد وكسر أنفسهن الأسى والحزن)) (٦٦).

وعن السكان المسيحيين الذين يعيشون في الشرق ، فإن بروكارد من جبل صهيون قال : ((الآن يجب أن نمعن النظر في موضوع جدير بالدراسة ..... فإن جميع دول الشرق الواقعة خلف البحر المتوسط تعتنق المسيحية – الهند والحبشة وأرمينيا وكبادوكيا ، فيما عدا المنطقة التي يعيش فيها المسلمون والتركمان وتبلغ نسبة المسيحيين إلى المسلمين ١:٣٠ ولكن هذه الأمم لا تملك الجيوش الكافية لمحاربة المسلمين ، ومن أجل ذلك ، فهم يشترون السلام معهم بدفع الجزية (٦٧).

وتظهر السرية واضحة جلية في الطريقة التي قام بها هؤلاء الرهبان ، وأرسلوا كتبهم وما تحتويه من توصيات إلى البلاط البابوي ، وملوك ، وأمراء الدول الأوروبية وتحمل عبء توصيلها تجار الجمهوريات التجارية الإيطالية الموثوق بهم (٦٨) . أما عن الأسلوب ، فقد استخدموا النصيحة والإثارة والحماسة ، لتبليغ نصائحهم،ولعل ذلك يتضح فيما ذكره بروكارد ((هذه نصيحة يقدمها أخوكم بروكارد الراهب الألماني الدومنيكاني في سنة ١٣٣٢م .إلى البابا ، وإلى ملك فرنسا فيليب فالوا السادس PHILLIP ، وذلك على بركة الرب ، من أجل القيام بحملة ما وراء البحار ضد المسلمين، واعلموا أن العالم كله سوف يسعد بهدفكم المقدس ، وسوف تحصلون على تأييد البابا وبركاته ، وسوف يحذوا حذوكم أمراء أوروبا ، واعلموا أن سيركم إلى المعركة هو جهاد في سبيل الرب ، وحبٌ فيه ، وغيرةٌ على بيته المقدس واستعادة للأماكن المطهرة)) (٦٩) وإمعانا في التعمية ، فقد قام بعضهم بتجليد نسخة بألوان مختلفة ، وليس أدل على ذلك مما فعله مارينو سانودو الأكبر MARINO SANOTO الذي أرسل نُسْخَةٌ مجلدة باللون الأحمر وأهداها إلى البابا يوحنا الثاني والعشرين ١٣٣٤م ، ونسخة أخرى مجلدة باللون الأخضر، أهديت إلى ملوك الغرب الأوروبي المعاصرين)) (٧٠) . ربما يتساءل متسائل : ما أهمية ذلك ؟ فنجيب أن اللون الأحمر يدل على خطورة الموضوع بالنسبة للبابا ، أما اللون الأخضر فهو إشارة، ودلالة على الضوء الأخضر لمناسبة الوقت لبدء الهجوم .

وكانت توصياتهم تحث على القيام بحملات صليبية جديدة لاستعادة الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، كما اشتملت دراستهم على عدد القوات اللازمة للحملة من قواد ، وفرسان ، ورماة ، ومشاة ، وكذلك السفن التي يجب استخدامها في الحملات المقترحة (٧١) واستحسنوا استخدام الطرق البرية للأمم الأوروبية التي ليست لها تجربة بركوب البحر ، أما

الطرق البحرية المقترحة فقد خصصوها للقوات المتطوعة من الجمهوريات التجارية الإيطالية (٧٢). لأنهم أصحاب خبرة بركوب البحر (٧٣) .

وقد اختار هؤلاء الرحالة قبرص ، وصقلية ، ورودس كأماكن لتجميع القوات البحرية ، أما أرمينيا الصغرى،فهي المكان المفضل لتلاقي القوات البحرية عند الهجوم ، ولقد اختلف هؤلاء الرحالة حول الطرق البرية التي يجب على الحملات اختراقها ، فمنهم من فضل الطريق القديم الذي طرقه الصليبيون الأوائل ، ومنهم من اقترح استخدام طريق شمال أفريقيا ، وذلك لمباغتة مصر من الغرب. وتسهيلا لأمر عبور مضيق جبل طارق فقد عبَّر أحدهم عن ضيق المسافة بين الساحل الأسباني ، والساحل المراكشي فقال: ((لو أن امرأتين إحداهما أسبانية ، والأخرى مراكشية أرادتا التشابك والعراك فإنهن يتمكنا من ذلك)) (٧٤) . وعن إجراءات طلب المعونة من القوى المعادية للمسلمين في الشرق ((أثيوبيا والتتار)) فقد أوصوا بالاتصال بدولة المغول كما فعل لويس التاسع،وكذلك بالاتصال بملك الحبشة في جنوب مصر. وقالوا : إن المسيحيين في الشرق يؤمنون بالمسيح ، ويحترمون الكنيسة الغربية ((الكاثوليكية ويتمنون الدخول تحت لوائها)) (٧٥) .

أما فيما يخص إجراءات الحصار الاقتصادي ، فإنهم اقترحوا تعيين أسطول حربي ، تشترك فيه جميع الدول الأوروبية ، تكون قاعدته قبرص، ليجوب البحر المتوسط ، فيضرب السفن التجارية ، من أولئك الخارجين على الإجماع الصليبي،الذين يتعاونون مع المسلمين ، ويمدونهم بالأسلحة والمواد الاستراتيجية (٧٦) . على أن هذه لم تكن مقصورة على البحر المتوسط ، فحسب ، بل أنهم طالبوا بإرسال سفن إلى المحيط الهندي ، لقطع الطريق التجاري عبر الهند ، والذي تمر منه المتاجر الشرقية إلى بلاد السلطان المملوكي ، وتحويل التجارة عبر أراضي الأصدقاء ، خاصة بلاد التتار وأرمينيا الصغرى ، فالبحر المتوسط (٧٧) كما نادوا ببسط

سلطانهم على أسواق تجارة العبيد ، في ترابيزون ، وكافا وروسيا ، وغاليوبلي (٧٨) . وقالوا ((بهذه الطريقة يمكن استنزاف قوى السلطان المملوكي وتدمير قواته)). وهكذا يرى الباحث أن فكرة استعادة أرض الميعلد ظلت مسيطرة على الغرب الأوروبي منذ أدركت هذه الشعوب أهمية موقع الشرق ، ومناخه الممتاز ، وأراضيه الخصبة ، وما تغله من خيرات " أرض السمن والعسل والأنهار التي تنبع من الجنة " . وكان نتيجة لاحتكاك أهل الغرب بالشرق ، خاصة فترة الوجود الصليبي في بلاد الشلم ١٠٩٨ م: ١٢٩١م أن وقفت هذه الشعوب على حقيقة مؤداها، ضرورة العمل بشتى الوسائل على احتلال تلك المناطق، وتطويع سكانها ، إما بتحويلهم إلى الكثلكة ، أو استئصال شأفتهم نهائيا حتى لو وصل الأمر إلى تدميرهم .

وبالرغم من أحوال الدول الأوروبية المتردية ، وقتذاك ، فإن البابوية، والمهتمين بالصليبية – خاصة جماعتي الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان – حاولوا جميعا رأب الصدع بين الفرقاء من أبناء جلدتهم، وذلك بفرض هدنة الرب بينهم ، والتنفيس عن طاقاتهم ، بالخروج في الحملات الصليبية المقترحة ، والقيام برحلات تبشيرية في دول الشرق عموما . فقسموا أنفسهم إلى مجموعات من أجل هذا الغرض ، فكانت أسيا الصغرى ، ومصر ، وبلاد الشام ، والهند ، وفارس وبلاد الشرق من نصيب الدومنيكان . أما الفرنسيسكان فكان من نصيبهم دول شمال أفريقيا وبعد عدة سنين سجل أولئك الرحالة تجاربهم ، وزياراتهم للشرق ، وذيلوها بأهم التوصيات التي تبلورت في تجديد الحملات الصليبية ضد الشرق في محاولة منهم لاستعادة الأراضي المقدسة وأرض الميعاد من المسلمين ، ورد المرتدين (من أصحاب المذاهب المسيحية المخالفة لعقيدتهم) إلى حظيرة كنيستهم . وبعد دراسة متعمقة توصل الباحث إلى النتائج التالية :-

أولاً :محاولة البابوية استعادة مكانتها في الغرب إلى ما كانت عليه في الأيام الخالية ، خاصة بعد حادثة الأسر البابلي ، وانتقال المقر البابوي إلى مدينة أفينون في فرنسا .

ثانياً : محاولة البابوية وقف الدمار الشامل ، والحروب بين الدول الأوروبية بعضها والبعض الآخر ، خاصة ما كان بين فرنسا وإنجلترا في حرب المائة عام .

ثالثاً : القيام بحملات صليبية ضد دولة المماليك في مصر والشام ، وبلاد المغرب والأتراك العثمانيين ،، ١٣٦٥، ١٣٦٧، ١٣٨٧ ، ١٣٩٨ م،،.

رابعاً : نجاح البرتغاليين في الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح ، وقطع طريق التجارة الشرقية في الهند ، وبلاد الشرق الأقصى .

خامساً : سقوط دولة المماليك في مصر والشام سنة ١٥١٧م نتيجة للحصار الاقتصادي الذي فرض عليها .

سادساً : لفت أنظار اليهود إلى البحث عن طريق يوصلهم إلى أرض الميعاد ، وما نتج عن ذلك .

والجدير بالذكر أن هذه النتائج تحققت جميعاً على فترات متوالية دون أن يتنبه أهل الشرق إلى الخطر الذي كان يحيط بهم ، أو المؤامرات التي كانت تحاك في الظلام ضدهم .

الحواشي

١-القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

٢-القرآن الكريم ، سورة قريش .

٣-ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الغـــد العربـــى ١٩٩٢م ص ٦ ، ص ٨٥٦ .

4- MAKHAIRAS , RECITAL CONCERNING THE SWEELAND OF CYPRUS , OXFORD 1855 , VOL I.PSI.

5- ULLMAN , W , A SHORT HISTORY OF THE PAPACY IN THE MIDDLE AGES, LONDON, 1973. P375.

6- THATCHER, O, A SOURCE BOOK FOR MEDIAEVAL HISTORY , NEW YORK, 1905. P537.

7- SETTON , THE PAPACY AND LEVANT, PHILADELIPHIA , 1976 . VOL1 , P167.

8- HEYD.W.:HISTOIRE DU COMMERCE DE LEVANT AU MOYEN AGE , LEIPZGE , 1885 , . VOL2, P25.

-وذلك لذهاب هيبة البابوية مع الأسر البابلى ، نتيجة لكثرة الحروب بيـــن الدول الأوروبية بعضها والبعض الآخر ، وكذلك لنمـــو القوميـــات فـــى المجتمعات الأوروبية وظهور حركة التنوير .

٩- نشأت هيئة الدومينكان في تلوز بواسطة الراهـــب دمنيكـــو ١٢١٥م ، وكانت مهمتها الأولى مساعدة الفقراء والدعوة فى سبيل المسيح ، لكـــن مع بداية القرن الرابع عشر للميلاد انقلبت إلى نشاط التبشـــير والدعـــوة للصليبية ، أما جماعة الرهبان الفرنسيسكان فقد أسسها الراهب فرنسـيس من مدينة أسيس ASSIS سنة ١١٨٢م الذى نذر نفسه لأعمال التبشـير ، فرحل إلى أسبانيا ، ثم عبر منها إلى مراكش ثم إلى مصر مع حملـــة جان دى برين ١٢١٨م ، ودخل مع السلطان الكامل الأيوبى فى حوار ، ودعاه إلى اعتناق الكثلكة ، تحمل أتباعه من بعده التبشير فـــى شـــمال إفريقيا ، ومصر فى بداية القرن الرابع عشر .

- MARGARET , A HISTORY OF MEDIAEVAL CHURCH, 500 , I500, LONDON 1972. P.153.

10- LULL, RAMON, LIBER DE FINE PALMA, 1216. PP 52:538.

١١- وليم أدم راهب دومنيكانى ولد فى جنوب فرنسا سنة ١٢٧٥م ، تطوع للقيام بأعمال التبشير فى أسيا الصغرى وبلاد الشام ، وفارس ، ثم زار الهند سنة ١٣٠٧م ، قدم مشروعه إلى البابا كلمنت الخامس يدعوه فيه إلى تجهيز حملة صليبية وكان ذلك من خلال كتابة الذى ألفه حول رحلته فى الشرق DO MODO SARRACEN EXTIEPANDI . سنة ١٣١٠م توفى فى مدينة أنتوارى سنة ١٣٤١م .

١٢- بؤوكارد الألمانى رحالة دومنيكانى أمضى أربع وعشرين سنة فى مهمة تبشيرية زار بلاد المغول وفارس والهند ، وعبر إلى جزيرة سوقطرة فى الساحل الشرقى لهذه الجزيرة ثم نزل إلى خليج عدن ١٣٠٧م ، وقدم كتابه L'ADVIS DIRECTIF ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الجزء الثانى ص ٤٠.

١٣- بروكارد من جبل صهيون رحل إلى الشرق فى مهمة تبشيرية فزار قبرص ثم بلاد الشام ، ونزل إلى فلسطين ، فطاف بها وشاهد انحسار السيطرة الصليبية خاصة بعد هزيمة الصليبيين أمام صلاح الدين وخلفائه فكتب كتابه THE DESCRIPTION OF THE HOLY LAND .

١٤- توماس من تولنتينو راهب دومنيكانى ، قام برحلته إلى تانا عند بحر قزوين، وكان فى صحبته مجموعة من الرهبان ، الذين قصدوا تلك

الأماكن للتبشير فيها ، ولكن الحكومة الإسلامية التـــى كـــانت هنـــاك وقتذاك ألقت القبض عليهم ، وأودعتهم السجون

BREHIER. L, L' EGLISE ET L'ORIENT AU MOYEN AGE. PARIS 1919, P245 .

SETTON, A HISTORY OF THE CRUSADES , CANADA, 1983 , VOL5 , P 455.

15- SANOTO , MARINO, I, SECRETS FOR TRUE CRUSADERS TO HELP THEM TO RECOVER THE HOLY LAND , LONDON , 1896, PI4.

16- PILOTI . E , L ' EGYPTE AU COMMENCENT DU QUINSIEME CIECLE , LE CAIRE , 1950 . P18.

١٧- رحالة أسبانى أشتهر بتعصبه ضد المسلمين فقـــام بإنشـــاء مدرســـة الثالوث المقدس فى جزيرة صقلية لتعليـــم طلابـــها اللغـــة العربيـــة والاستشراق من أجل خلق جيل يضطلع بأعمال التبشير بين المسلمين ، قام برحلات تبشيرية ،ووصفية فى نفس الوقـــت ودرس أحـــوال الشرق ، وقدم اقتراحه من أجل القيام بحملة صليبية ضـــد الشـــرق ، واقترح استخدام طريق أسبانيا شمال أفريقيا ، لمهاجمة مصـــر مـــن الغرب ، واحتلال مدينة دمياط والإسكندرية لما لـــهما مـــن أهميـــة بالنسبة للمصريين ، وكانت آخر رحلاته إلـــى بُجايـــة BOGAIA حيث قام هناك بمناظرة بينه وبين إمام مسجد المدينة ، فخرج عليـــه المسلمون ، فقتل رمياً بالحجارة ، كان من أهم مؤلفاته LIBER DE FINE بالإضافة إلى بعض المصنفات فى الشريعة المسيحية

ATIYA, A.S.: THE CRUSSADE IN THE LATER . MIDDLE AGES, LONDON, 1938, PP75:94.

18- LUDOLPH VON SCHEMES OP. CI T. P14.

19- PILOTI: OP. CI T. P34.

20- ARNOLD VON HARFF,OP. C I T, P22.

21- SANOTO, M, OP. CIT, P.34.
22- BRUCHARD , L'ADVIS DIRECTIF POUR FAIRE LA PASSAGE PASSAGE D, OURE MER, PARIS. MDCCCV1.
23- ADM, W., DO MODO SARRACENOS EXTIRPANDI, OP. C I T. P I8.
24- BROCHARD OF MOUNT SION, A'DESCRIPTION OF THE HOLY LAND, LANDON, 1898. P29.
25- LUDOLPH, V., OP. C I T. P49.
26- HARFF, A, THE PILGRIMAGE OF ARNOLD VON HARFF, LONDON, 1940. P 4I.
27- PILOTI, OP. CIT . P5I.
28- HARFF, OP. C I T . P. 180.& FABRI , FLIX, LE VOYAGE EN EGYPTE DE ... BRUXELLS, 1955. VOL. 3., P 93. هو السلطان المنصور قلاوون (١٢٧٩ م: ١٢٩٠م)
29- PILOTI, OP. CIT. P I2.
30- IBID,P I5.
٣١- ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، بـــاريس ١٨٩٤ ص ١٣ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٩٦٨ جـ ٣ ، ص ٥٠ ، ٥١ .
32- REYMOND , LULL, OP.C I T. PP250: 538.
33- ATIYA, A .S., OP. C I T. P209.
34- LODULF, OP. C I T. P46.
35- IBID, P 47.

- يوجد فى الإسكندرية مجموعة من الكنائس التى تحدث عنها الرحالة مثل ، كنيسة يوحنا المعمدان ، وكنيسة القديس بولس ، وكنيسة العذراء ، أما القريـــة التى ورد ذكرها عند هذا الرحالة فهى قرية تنيس ، وأهلها ذو يسار وثـــروة

وأكثرهم حاكة ، وبها تحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا ..... وكذلك إلى الآن يصنع لكل ملك من ملوك مصر هذا الثوب كل عام ويسمى هذا القميص البدنة ، وليس فى جميع الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج دون ذهب ١٠٠ دينار عيناً ، ويسكن بجزيرة تنيس نصارى هم الأن تحت الذمة بحمد الله – مجهول – كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، الكويت :١٩٨٥م تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد .ص٨٧.

36- IBID,P 47.

37- HARFF, OP. C I T. P 9.

٣٨- لقد أخطأ هذا الرحالة فى نسبة بناء مدينة الإسكندرية إلى المسيحيين ، فبناء المدينة ثم فى عهد الإسكندر الأكبر مكان قرية راقودة على شاطئ البحر المتوسط ٣٣٢ .ق.م.

-الشيال . ج : تاريخ مدينة الإسكندرية ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٥.

39- HARFF, OP. CIT P 93.

-يقول العمرى عن الحمام : أنه من بلاد الموصل وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى أفردوا له ديواناً وجرائد بأنساب الحمام ..... وأعلم أن الحمام بمصر انقطع تدريجه بالوجه القبلى ..... ولم يبق منه إلا من القاهرة إلى الإسكندرية ، ومن القاهرة إلى دمياط ، ومن القاهرة إلى السويس ، ومن القاهرة إلى قاطيا .... التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢هـ ص ١٩٦.

40- REYMOND, LULL , OP. CIT. P 538.

41- PILOTI , OP. CIT, P I2.

وأيضاً : العينى : عقد الجمان ، مخطوط جـ ٢٥ل ١٢٢.

٤٢- ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقـاهرة ، القاهرة ١٩٧٢ جـ ١٢ ، ص ١٠٢ و ابن دقماق : الجوهر الثميـــن : بيروت بدون تاريخ ص ص٤٠٠ ، ٤١٨.

43- HYTHOM, LES HISTOIRE DE LE TERRE D' ORIENT , PARIS MDCCC . V 1.

44- BRUCHARD OF MOUNT SION: OP. C I T. P3.

45- IBID, P99.

46- OP. CIT P 99

47- ADM, OP. C I T. TOM II, P525.

48- PILOTI , OP. C I T. P27.

49- THENOUD , J .,LE VOYAGE D' OUTRE MER DE JEAN THENOUD , PARIS, 1882, P 122.

50- HARFF, OP. C I T . PTIO.

51- IVID, P 110.

52- PILOTI: OP. C I T. P4.

-معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر الميلادى فصل من مجلة المجلـة ، تحقيق الطاهر أحمد مكى ، القاهرة ١٩٦٠ جـ ١ ، ص ٥٨

53- HARFF, OP. C I T. PP 100, IOI.

54- OP. C I T. PP. 13, 14.

-الخليفة ليس من المصريين إنما هو من سلالة العباسيين .

55- OP. C I T. PI3.

٥٦- خلط بيلوتى بين طوائـف الشـعب جميعـاً فـأطلق عليـهم البـدو IBID, PI5.

57- IBID, P 95.

58- BROCHARD OF MOUNT SION, OP. C I T, P 107.

59- PILOTI, OP. C I T. PP. 21: 25 & ATIYA A.S , OP. C I T. P209.

60- BROCHARD OF MOUNT SION ,OP . C I T , P 3.

61- HARFF, OP. C I T. P 95.

62- IBID, PI27.
63- SANOTO, OP. C I T. P2.
64- LODULF, OP. C I T. P56.
65- IBID, P 60
66- IBID, P60.

-إن ما فعله المسلمون فى الصليبيين إبان فتحهم لمدينة عكا ١٢٩١م لا يوازى الفظائع التى ارتكبها أجداد هذا الرحالة فى مدينة بيت المقدس عشية فتحهم لها سنة ١٠٩٩م وبشهادة واحد من أهلهم يقول : فر الجانب الأكبر من الناس (المسلمين) إلى فناء المسجد ، لكن فرارهم لم يسعفهم بالخلاص ، إذ سرعان ما اقتفى تانكريد أثرهم ... فذبحوا ذبح الشاه كل من لجأ إلى هنا يبتغى الحماية ، وأعملوا القتل فيهم لم تأخذهم رحمة بأحد ما ، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا . وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٩٢م. ٤ أجزاء ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ . وربما يقول قائل أن هذا العمل ، يمكن أن يتم ضد أتباع الديانات المختلفة فما بال الإنسان فيما تم عند فتح القسطنطينية سنة ١٢٠٤م والشعب من أبناء جلدتهم والمستنقذون بهم والسبب فى مجيئهم إلى الشرق . عن ذلك :
راجع : رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ، ط ثالثة : ١٩٩٢م ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢م .

67- BROCHARD OF MOUNTSION, OP . C I T. P107.
68- BALDWIN. M .W, MISSIONS TO THE EAST IN THE THIRTEENTH AND FOURTEENTH CENTURIES . NEW YORK , 1972 P 463.
69- BROCHARD, OP. C I T. P311.
70- SANOTO , OP . C I T VIII , PILOTI , OP, C I T. P XVIII.
71- REYMOND LULL , OP . C I T. P 327.

72- HYTHOM , OP . C I T . P 224 , & ADAM , OP. C I T,
P 545.
73- BROCHARD , OP . C I T. P 37I.
74- LODULPH , OP . C I T. P9.
75- IBID , P9.
76- THATCHER , OP. C I T. P 535.
77- ADAM , OP . C I T. P 545.
78- PILOTI , OP. C I T. PT5.